الفصل الأول : مدخل إلى الأدب التفاعلي

مقدمة:

إن المتتبع لرحلة النص الأدبي في مسار تطوره، وانتقاله إلى المتلقي سيلاحظ أنه مر بمراحل مختلفة، أثرت في عملية إنتاجه؛ ذلك أنه لم يولد ناضجا مكتملا، ولم يجد سبيله إلى المتلقي بطرق يسيرة. ضف إلى ذلك أنه لم يكن منفصلا عن السياقات الاجتماعية والتاريخية التي أفرزته، ولا عن القنوات والوسائط التي أتاحها كل عصر، فمع ظهور الثورة الرقمية أخذت حركة التواصل أبعادا غير مسبوقة، بفضل ما أتاحته التكنولوجيا من وسائط وآليات، وبفضل ظهور شبكة الأنترنت، فأصبح العالم " قرية صغيرة" تربط أفرادها علاقات تفاعلية، أنتجت نوعا جديدا من الفاعلين والمتلقين في جميع التخصصات. ولاشك أن الأدب باعتباره فاعلية اجتماعية قد استجاب لهذه التغيرات التي حكمت العلاقات البشرية _ مرتبطة بحركة العولمة التي اجتاحت العالم _ فظهر ما يعرف بالأدب التفاعلي أو الرقمي؛حيث إن ما أنتجته التكنولوجيا الرقمية هو إحدى تجليات مرحلة ما بعد الحداثة (Postmodernism) التي عكست علاقة الاحتواء بين الفكر والتقنية، و بين الفن والإعلاميات؛ إذ سعت (ما بعد الحداثة) إلى تكسير القيود وتمييع مفاهيم المركزية والعقلانية والانتصار للاّمعنى، والقول بفشل مشروع التحديث والميل إلى نوع من التلاعب اللفظي

1. مفهوم الأدب التفاعلي:

الأدب الرقمي والأدب الإلكتروني وأدب الصورة والنص المترابط والأدب الديجتالي والأدب الحاسوبي والأدب التفاعلي مصطلحات تستعمل للدلالة على الأدب الذي أنتج تحت تأثير التكنولوجيا الرقمية وظهور الحاسوب الإلكتروني في منتصف القرن العشرين (سنوات الخمسينيات)، حيث بدأت تطفو على السطح _ كما ذهب جميل حمداوي اعتمادا على Boris Vian بوريس فيان من قبيل الشاعر الروبوتي (robot_ poéte) والأدب السبيرنيتيقي أو الرقمي، كإعلان عن بداية "التفكير في تحويل الأدب إلى آلة مبرمجة أو مبدعة".

يطرح مصطلح الأدب التفاعلي جملة من الإشكالات، على المستويين الاصطلاحي والمفهومي، بالنظر إلى ما أفرزه من تناقضات عن طريق الجمع بين عوالم الواقع والتخييل والعوالم الافتراضية، وباعتباره يشكل تمظهرا من تمظهرات الحداثة، تكاتفت فيه مختلف عناصر التواصل؛ كالإلقاء واللغة الإشارية ولغة الجسد ونبرات الصوت، و ما لذلك من تأثير على المتلقي الذي تغيرت وظيفته، من متلق سلبي، إلى متلق فاعل ومشارك في إنتاج النص. ومن هذا المنطلق اكتسب هذا الأدب صفته الأساسية وهي التفاعلية، التي تنحى في معناها اللغوي نحو التشارك؛ أي الجمع بين

مختلف العلاقات التي تربط النص الواحد بغيره من النصوص الأخرى. غير أن مصطلح التفاعلية المراد الحديث عنه يرتبط بالإعلاميات وما قدمته التكنولوجيا الرقمية على مستوى الاتصالات، والثورة المعلوماتية التي جسدتها شبكة الأنترنت وهي "شبكة معلومات تتكون من عدد هائل من الحواسيب بمختلف الأنواع والأحجام المنتشرة حول العالم، بدءا من الحواسيب الشخصية حتى الحواسيب العملاقة، ويتم الربط بينها من خلال برتوكول التحكم بالإرسال وبرتوكول الأنترنت"،ناهيك عن اللوحات الإلكترونية والهواتف الذكية وما سيلحقها من اختراعات أخرى.

ومن هنا وجب التفريق بين استعمالين مختلفين هما التفاعل الأدبي والأدب التفاعلي؛ هذا الأخير الذي عرفه سعيد يقطين بكونه" مجمع الإبداعات (والأدب أبرزها) التي تولدت مع توظيف الحاسوب. ولم تكن موجودة قبل ذلك، أو تطورت من أشكال قديمة، ولكنها اتخذت مع الحاسوب صورا جديدة، في الإنتاج والتلقي"

كما نجد فاطمة البريكي تعرف الأدب التفاعلي بأنه ذلك النوع الذي " يوظف معطيات التكنولوجيا الحديثة في تقديم جنس أدبي جديد، يجمع بين الأدبية والإلكترونية، ولا يمكن أن يتأتى لمتلقيه إلا عبر الوسيط الإلكترونيولا يصبح هذا الأدب تفاعليا إلا إذا أعطى المتلقي مساحة تعادل أو تزيد عن مساحة المبدع الأصلي.

ولا يختلف عنها جميل حمداوي حيث يعرفه بأنه ذلك النوع من الأدب " يهتم بالعلاقة التفاعلية التي تنشأ بين الراصد والنص على مستوى التصفح والتلقي والتقبل وتخضع هذه العلاقة لمجموعة من العناصر التفاعلية الأساسية هي النص والصوت، والصورة، والحركة، والمتلقي، والحاسوب، مع التشديد على العلاقة التفاعلية الداخلية(العلاقة بين الروابط النصية)، والعلاقة التفاعلية الخارجية (الجمع بين المبدع والمتلقي)، مع العلم أن جميل حمداوي يفرق بين مصطلحي الأدب التفاعلي والأدب الرقمي الذي يميل لتبنيه لكونه أكثر ارتباطا بالوسيط الإعلام وعليه فإن الأدب التفاعلي يركز على استخدام وسائل التكنولوجيا ويفيد مما توفره من معطيات التواصل ويرتبط بالمتلقي ارتباطا تفاعليا، يختلف عما كان سائدا في النصوص الورقية الكلاسيكية، مكتسبا خصائص جديدة .

2. موقف النقاد من الأدب الرقمي:

أدى ظهور الأدب الرقمي في العالم العربي إلى بروز موقفين مختلفين: موقف مؤيد وآخر معارض ولكل واحد منهما مبرراته ووجهات نظره التي يحاول الترويج لها. فما هي إذن المبررات

التي يدافع عنها مؤيدو الأدب الرقمي؟ وماهي الأسباب التي جعلت معارضي الأدب الرقمي يرفضونه؟

موقفالنقاد المؤيدين للأدب الرقمي:

يسوق المؤيدون للأدب الرقمي عدة مبررات للدفاع عن وجهة نظرهم، وهي كالآتي:

– يعطي الأدب الرقمي فرصة ومكانة للأدباء والنقاد المبتدئين لنشر إبداعاتهم وكتاباتهم بالقدر الذي يعطيه للنخب من الأدباء والنقاد، عكس الأدب الورقي الذي يظل حكرا على تلك النخب المشهورة.

–يعبر الأدب الرقمي عن العصر الرقمي وعن جيله الجديد الذي يقضي ساعات طوال أمام شاشة الحاسوب المتصلة بشبكة الإنترنت، مقارنة مع الوقت الذي يقضيه في قراءة كتاب ورقي.

–يتماشى الأدب الرقمي مع عصر السرعة، حيث يمكن للقارئ الرقمي أن يصل إلى المعلومة بشكل سريع، ويوفر له خيارات كبيرة للبحث عن تلك المعلومة داخل الفهارس الإلكترونية بواسطة الكلمة المفتاحية. عكس الأدب الورقي الذي يفرض نظامه على القارئ الورقي الذي يتصفحه أو يبحث عبر سطوره من أجل الوصول إلى المعلومة، وهذا يتطلب وقتا أطول مقارنة مع الأدب الرقمي.

–أعلى الأدب الرقمي منذ البداية من شأن القارئ الرقمي، وجعله في درجة متساوية مع المبدع في بناء وإنتاج النص، في حين ظل الأدب الورقي ردحا من الزمن يعلي من شأن المبدع فقط الذي كان مركز الاهتمام لدى النقاد، حتى تعالت الأصوات بعد ذلك التي تطالب بمنح القارئ الورقي المكانة التي يستحقها.

– تتمتع النصوص الرقمية بقدر مهم من الحرية والدينامية، في حين تقل أو تنعدم مع النصوص الورقية التي تخضع لسلطة ورقابة دور النشر وغيرها.

– يتميز الأدب الرقمي بسهولة تداوله عبر شبكة الإنترنت، ويمكن التنقل بعدد كبير من الكتب الرقمية إلى أي مكان بواسطة قرص مدمج أو تخزينه في ملفات داخل شاشة الحاسوب المحمول. أما الأدب الورقي فيصعب تداوله بسهولة عبر مختلف بقاع العالم، نظرا للإجراءات التي تتخذها كل دولة على حدة، كما يصعب معه حمل عدد كبير من الكتب والتنقل بها عبر حدود جغرافية واسعة لكونها تأخذ هيئة أجسام مادية.

– تعد درجة التفاعل التي يحققها القارئ الرقمي مع النصوص الرقمية عالية جدا، حيث توظف عدة وسائط متعددة متفاعلة (نصوص،صور، أصوات، حركات، مشاهد سينمائية...) تمكنه من

التفاعل معها والإبحار داخلها، بواسطة تنشيط الروابط المختلفة التي تربط بين تلك الوسائط، إضافة إلى المساحات المهمة التي يتركها المبدع الرقمي للقارئ الرقمي من أجل الاقتراح أو الإضافة أو التعديل وما إلى ذلك.

– تقل درجة تفاعل القارئ الورقي مع النصوص الورقية بسبب نظامها الخطي الذي تفرضه عليه، إذ لا يمكنه أن يقترح أو يعدل هذه النصوص الورقية، لأن ذلك يشوه مظهرها، إضافة إلى محدودية الوسائط المتفاعلة التي توظفها، مما يجعلها تتسم بالجمود ولا تتمتع بالحرية والحيوية التي تتميز بها النصوص الرقمية ذات النمط اللاخطي.

– تزايد عدد قراء الأدب الرقمي بشكل كبير، في المقابل تراجع عدد قراء الأدب الورقي الذي يعاني من ظاهرة العزوف عن القراءة، وهذا الأمر يقر به حتى المنتصرون للأدب الورقي.

– يتوقع المؤيدون للأدب الرقمي زوال الأدب الورقي وفنائه وعليه سيطرة الأول على الساحة الأدبية، لأنه هو المعبر عن الثورة الرقمية التي اكتسحت العالم بشكل سريع، " لقد انتهى عصر الورق. نعم سيتجاور الكتاب الورقي المطبوع مع الكتاب الإلكتروني، وسيبقى هذا التجاور طوال العشرين أو الثلاثين سنة القادمة لكن في النهاية سيسود ابن هذا العصر وحامل معناه (الكتاب الإلكتروني)

موقفالنقاد المعارضين للأدب الرقمي:

يقدم المعارضون للأدب الرقمي مجموعة من الدلائل والحجج للدفاع عن موقفهم نلخصها كالآتي:

– يمثل الأدب الرقمي فئة نخبوية معلوماتية معينة وليس الكل، خصوصا وأن البلاد العربية توجد بها نسبة عالية لا تعرف، أو لا تحسن التعامل مع التقنيات التكنولوجية الحديثة، حيث دأبت على الطريقة التقليدية في القراءة والكتابة، وهذا ما يخلق فجوة رقمية بينها وبين الوسيط التكنولوجي (الحاسوب).

– لا يتمتع الأدب الرقمي بحصانة تضمن حقوق النشر والتوزيع للمبدع في ظل غياب الرقيب، مما يجعله معرضا للسرقة بسهولة، في المقابل يتمتع الأدب الورقي بحصانة دور النشر التي تضمن للمبدع جميع حقوقه وتحد من مشكلة السرقة.

– يخرج الأدب الرقمي عن الأعراف والتقاليد الإبداعية الورقية، من خلال إشراكه للقارئ الرقمي كيفما كان مستواه المعرفي والفكري في عملية إنتاج النص، فنصبح بذلك أمام تعددية إبداعية تؤدي إلى القضاء على الملكية الفردية للعمل الإبداعي، وتساعد أيضا على طرق باب المحظورات، وهذا ما يجعل منه أدبا رقميا هجينا يعاني من مشاكل ترتبط بالثقة والضبط واختلاف

القصدية (بين المبدع والقارئ)، أما الأدب الورقي فيحافظ على فكرة المبدع الواحد المالك للعمل الإبداعي. ولا يلج عالمه، إلا المتمكنون من أدوات وتقنيات التأليف والإبداع الورقيين. يقول سعيد بنكراد في هذا السياق:وهذا مصدر القول باستحالة جماليات رقمية تقدم للعين ما هو أجمل مما يقوله اللفظ. وعلى عكس ما توحي به الروابط التي تدفع النص إلى اقتراح انتقاءات متنوعة استنادا إلى وصف محدود لوضعيات محدودة، فإن مصدر الطاقة الانفعالية في التمثيل اللساني لا يكمن في تقديم معادلات نصية من خلال روابط هي، في نهاية الأمر وبدايته، وثيقة الصلة بقصدية أصلية هي قصدية المؤلف وحدها ولا شيء غيرها، بل قد يكون ما يأتي به القارئ نقيضا لما توحي به هذه القصدية. إن الأمر يتعلق بلا وعي نصي مودع في ذوات تختلف عن بعضها البعض من حيث درجة الوعي والثقافة، ومن حيث الطاقات الانفعالية التي قد لا ترى من خلال ظاهر العلامة"

– يركز الأدب الرقمي على الشكل أكثر من المضمون، إذ يهتم بتوظيف التقنيات المعلوماتية وما يصاحبها من عتاد وبرامج أكثر من المضامين النصية، فيتم من خلال ذلك إنتاج أدب بلا مشاعر إنسانية، في هذا السياق يقول حسن سلمان: "غير أن تلك التجارب الرقمية الجديدة بالعربية، قوبلت برفض شديد من قبل المتمسكين بالتقليد الورقي، حيث اتهم هؤلاء دعاة الأدب الرقمي بتقويض أركان قرون طويلة من الكتابة الورقية، وإنتاج أدب بلا مشاعر إنسانية"، في حين نجد الأدب الورقي مليئا بالمشاعر والأحاسيس من خلال تركيزه على المضمون دون إغفال الجانب الشكلي.

– تصعب قراءة الأدب الرقمي في أي مكان وبأية طريقة لارتباطه بتقنيات تكنولوجية معينة، عكس الأدب الورقي الذي يمكن قراءته في كل مكان.

– يفسح الأدب الورقي للقارئ مجالا للتأمل والتدبر، دون أن تترتب عن ذلك أية مشاكل صحية، أما الأدب الرقمي فلا يقدم للقارئ سوى فكرة عن الموضوع علاوة على الصعوبات والمشاكل الصحية التي يواجهها أثناء الجلوس أمام شاشة الحاسوب لمدة طويلة.

– عدم قدرة الأدب الرقمي على الصمود والبقاء، وما يؤكد ذلك اختفاء عدد من الأعمال الإبداعية بشكل كامل من مواقعها على شبكة الإنترنت، مثال ذلك، أعمال محمد سناجلة (ظلال الواحد، شات، صقيع...)، على العكس من ذلك أثبت الأدب الورقي قدرته على الصمود والبقاء من خلال الإمكانات التي توفرها دور النشر في علاقتها بالمؤلفين لإعادة طبع الكتب الورقية كلما دعت الضرورة لذلك.